الأسس المذهبية للدولة المرابطية وأبعادها المالكية

Almoravid state and its Al-Maliki's the doctrinal foundations of the dimensions

*عدة الشيخ ولد جلول

الملخّص

نحاول من خلال صفحات هذا البحث الحديث عن دور المذهب المالكي وأثره في قيام الدولة المرابطية، التي كان تأسيسها من البداية وفق أساس ديني عقائدي، قائم على الدعوة الدينية ذات التوجه المذهبي المالكي، التي قادها الفقيه عبد الله بن ياسين، والإشارة كذلك إلى أسباب تفضيل المرابطين للمذهب المالكي على غيره من المذاهب في دعوتهم ودولتهم، والحديث أيضاً عن الأسس المذهبية التي قام عليها حكم دولة المرابطين التي منها إعادة نشر مبادئ الدين الإسلامي الصحيح وإحيائه وفق تعاليم المذهب المالكي، وتحقيق فكرة التوحيد المذهبي لبلاد المغرب والأندلس، والتطرق كذلك إلى أثار ومظاهر الالتزام بتعاليم الدعوة للمذهب المالكي في الدولة ومن بينها المجتمع المرابطي، والتشدد في تطبيق أحكام الدين، والاعتماد على العلماء والفقهاء في إدارة شؤون الدولة، وشغف المرابطين بالعلم والتفقه في الدين، وغيرها من المظاهر.

الكلمات الدالة: المرابطين، المذهب المالكي، ابن ياسين، المغرب، صنهاجة.

Abstract

We try through the pages of this research to talk about the role of Maliki sect and its impact on the establishment of the Almoravid state, which was established from the beginning on a religious ideological basis based on the religious call of the Maliki sect, led by religious scholar Abdullah Ibn Yassin. We also refer to the reasons why the Almoravids preferred the Maliki doctrine over other doctrines in their call and state, besides the doctrinal foundations on which the Rule of the Almoravid state was based, including the re-establishment and revival of the principles of the true Islamic religion in accordance with the teachings of the Maliki doctrine, and the realization of the idea of sectarian monotheism of the Maghreb and Al-Andalus, and the implications and manifestations of adherence to the teachings of the Maliki doctrine in the state and the Almoravid society, the most important of which are: strict application of the provisions of religion, reliance on scholars and jurists in the management of state affairs, the passion of the Almoravids in science and understanding in religion, and other aspects.

Key Words: Almoravids, The Maliki Doctrine, Ibn Yassin, Maghreb, Sanhaja

قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف. تاريخ استلام البحث 2021/1/17 ، تاريخ قبوله 2021/3/8

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

المقدمة:

كان تأسيس دولة المرابطين منذ الوهلة الأولى وفق أساس ديني محض وخالص قائماً على تبني المذهب المالكي والعمل بتعاليمه ومبادئه، وذلك لاعتبار بساطته وسهولة أفكاره، وملائمته لطبائع سكان البدو وأهل الصحراء، إضافة إلى وجود تجارب سابقة للمذهب في بلاد المغرب، ثم العمل في مرحلة ثانية على نشره في المناطق التي شكلت حقلاً لدعوتهم، ومجالاً لدولتهم وتوسعاتهم فيما بعد، والتطلع أكثر إلى محاولة بعث القوى الإسلامية المثبطة والمعطلة، واستنهاض همتها من جديد، هذا في أعقاب التفرق والانقسام الذي دبَّ في جسم الأمة الإسلامية، وعدم قدرة حكامها على التحكم في أطرافها لا سيما البعيدة منها، وما صاحب ذلك من تفاقم لحالة الاضطرابات والحركات الانفصالية، كما هو الحال في الأقاليم الشرقية من الخلافة، وببلاد المغرب الإسلامي، بالإضافة إلى تزايد الأخطار الخارجية الصليبية والمغولية من الشرق، والمسيحية بالأندلس في الشمال هذا من جهة.

ومن الجهة الأخرى، كل ما صاحب تلك الحالة السيئة والمتردية من تنامي لحالة الدعة والقعود عن التصدي لتلك الأخطار، وتزايد مظاهر الانحراف والابتعاد عن تعاليم الشرع الإسلامي، الأمر الذي جعل أوضاع الأمة تتطلب القيام بعمل أو جهد؛ للعودة بالدولة والمجتمع الإسلامي إلى سالف عهود القوة والمجد، الذي لن يتيسر ويتحقق وفق رؤية قادة الدولة المرابطية وزعمائها إلا من خلال العودة إلى التمسك بتعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، والاقتداء بعمل السلف الأول في سيرتهم والتزامهم، ولهذا نجد أن هذه الدولة قد اعتمدت في تمكين نفسها على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورفعت راية الجهاد ضد المخالفين والمعتدين، وأعلنت حرباً على البدع والخرافات والضلالات، وطالبت الناس بالقيام بفروض دينهم وواجباته، وكل ذلك جعل لدعوة المرابطين الحضوة والقبول والترحيب أينما حلت، واستنجد بها الفقهاء والعلماء والرعية؛ لتخليص البلاد الإسلامية من تلك المفاسد والمظالم، وفتحت المدن والبلدان أبوابها لهؤلاء الملثمين المحاربين (المجاهدين).

انطلاقًا مما سبق ذكره، فإنه بإمكاننا صياغة الإشكالية الآتية: بما أن الدولة المرابطية كانت ذات تكوين ديني إسلامي صرف، فأين تكمن أهم الأصول الدينية والمذهبية التي قامت عليها الدعوة المرابطية، واستنبطت منها مبادئها وتعاليمها؟ وفيما تتجلى أهم الأسس المذهبية التي قامت عليها دولتهم؟ وإلى أي مدى كان التوفيق حليف زعمائها في المحافظة على تعاليم دعوتهم الأولى منذ بدايتها على يد زعيميها الروحي عبدالله بن ياسين، والسياسي يحي بن إبراهيم الجدالي؟ هذا الذي سنحاول التطرق إليه من خلال هذا البحث.

اعتمدنا في معالجة موضوع بحثنا هذا على المنهج التاريخي التحليلي، المعتمد على جمع المادة التاريخية من مضانها وعرضها وتحليليها، المتعلقة بالأحداث التاريخية المرافقة لتطور حكم دولة المرابطين، وتبني حكامها للمذهب المالكي، وفرضه في الأقطار التي خضعت لهم، وكان لا بد من دعمه بالمنهج الوصفي في التحليل لأسباب إقبال المرابطين على المذهب المالكي، وتفضيله على غيره من المذاهب، وبيان الأسس المذهبية للحكم المرابطي، وأثر الالتزام بالمذهب على الدولة والمجتمع المرابطي.

أما أهمية البحث فتكمن في كونه يرمي إلى تسليط الضوء على الدور الذي قام به زعماء دولة المرابطين من أمراء وفقهاء وقضاة، وكل من كانت بيدهم زمام الأمور؛ من أجل نشر المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي، وهذا نتيجة تأثيرهم السياسيَ في صناعة الأحداث واتخاذ القرارات، وإلى مكانتهم الاجتماعية المرموقة والمرهوبة بين

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

النَّاس، الأمر الذي يجعلهم أصحاب الدور الرئيس والحاسم في تحديد طبيعة التوجه السياسي والمذهبي الذي اختارته واتبعته هذه الدولة، وفرضته في الأقاليم والأقطار التي ضمتها إليها في بلاد المغرب والأندلس.

في حين تسعى أهداف هذا البحث إلى الكشف عن الأسس المذهبية المالكية التي ارتكز عليها الحكم المرابطي التي اعتمد عليها الحكام المرابطين في تقوية سلطانهم، وفي حفظ الاستقرار والوحدة السياسية والمذهبية في دولتهم، هذا من غير نسيان الدور الكبير الذي قام به الفقهاء والعلماء المالكيين في تلقين مبادئ المذهب المالكي وتعليمه، وفي دفع الحركتين العلمية والثقافية وتنشيطهما في أقطار بلاد المغرب الإسلامي الخاضعة لسلطان المرابطين.

وأما عن الدراسات والأبحاث السابقة التي تطرقت لموضوع البحث بالتفصيل، فلا تكاد موجودة في حدود علمنا، اللهم بعض الدراسات التي تناولت في ثناياها جوانب منه، أو إشارات مقتضبة، منها على وجه التحديد، دراسة الباحث عباس الجراري الواقعة تحت عنوان: وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ[1] التي تطرق فيها للوحدة المذهبية المالكية في العهد المرابطي، ولو أنها تقتصر على بلاد المغرب الأقصى فقط، ودراسة محمد ابن حسن شرحبيل، المعنونة بـ: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي[2] التي تطرقت لمراحل انتشار المذهب المالكي عبر مناطق الغرب الإسلامي وانتصاره وسيادته عليها، طغت على المذاهب والطوائف الأخرى الموجودة في المنطقة إلى ظهور المرابطين.

هذا من دون إغفال دراسات الباحث عمر الجيدي، الأولى موسومة بعنوان: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب[3]، والثانية التي كانت تحت عنوان: محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي[4]، ودراسة عصمت عبد اللَّطيف دندش، الموسومة بـ: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا[5]، ودراسة حسن علي حسن، المعنونة بـ:الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين [6] التي تحدث فيها عن الدعوة الدينية المرابطية المالكية، وتوسعها وانتشارها، وعن تاريخ دولة المرابطين، وأسس حكمها. بالإضافة إلى كتابات الباحث الليبي محمد علي الصلابي التي من أبرزها كتاب: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين[7] التي حملت الإشارة إلى تاريخ الدعوة المرابطية ومراحلها، وأصولها المالكية، وأسباب تمكينها، والأسس المذهبية المالكية التي ربى عليها ابن ياسين أتباعه المرابطين، وسار عليها خلفه في حكم الدولة، إذ استنار البحث كثيراً من هذة الدراسات التي تناولت بإسهاب دولة المرابطين منذ ظهور دعوة ابن ياسين المالكية، إلى مرحلة تأسيس الدولة، إلى صراعها العسكري والمذهبي مع الموحدين وزوالها على أيديهم.

أولاً: لمحة تعريفية عن الدولة المرابطية وتسمياتها المختلفة:

(1) عباس الجراري، **وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ**، دار الثقافة، بيروت، 1976م، (د.ط).

(2) محمد بن حسن شرحبيلي، **تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي**، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 2000م، (د.ط).

(3) عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1993م.

(4) عمر الجيدي، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، المغرب، 1987م، (د.ط).

(5) دندش عصمت اللطيف، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

(6) حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس(عصر المرابطين والموحدين)**، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.

(7) محمد علي الصلابي، **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2003م.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

قبل الحديث عن دعوة المرابطين ودولتهم المترامية الأطراف(447-542هـ/1055-1148م)، نعرّف في البداية بأصول هذه الدولة الذي لا يتأتى إلا بالحديث عن قبيلة صنهاجة التي تعد إحدى قبائل البرانس من البربر، وأنهم أعظم قبائلها بالمغرب فلا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى زعم البعض أنهم ثلث البربر[8]. وقد ذهب ابن خلكان إلى أن أصلهم من حَمْيَرٍ عندما قال: والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حَمْيَرٍ بن سبأ»[9]. وعلى عكس الناصري الذي قال:« والتحقيق خلاف ذلك وأنهم من كنعان بن حام كسائر البربر»[10].

ويدخل تحت صنهاجة قبائل كثيرة، تنتهي إلى السبعين، أشهرها لمتونة وجدالة ومسوفة ولمطة، وتحت هذه القبائل بطون وأفخاذ تفوق الحصر، وهذه القبائل كلها صحراوية، كانت لهم في المغرب دولتان عظيمتان إحداهما: دولة بني زيري بن مناد الصنهاجيين بإفريقية، ورثوا ملكها من يد الشِّيعة العبيديين، والأخرى دولة الملَّثمين بالمغرب والأندلس، وموطنهم أرض الصحراء والرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان، ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولاً في أربعة عرضاً[11].

وقد اشتهرت القبائل الصنهاجية في التاريخ باسم الملَّثمين، إلى أن تسموا بالمرابطين، ويبدو أن إطلاق اسم الملثمين كان في البداية خاصاً بقبيلة لمتونة، وأصبح فيما بعد شعارًا لكل من حالفهم ودخل تحت سيادتهم من القبائل[12].

وعن أصل التسمية، فقد تعددت الروايات حول ذلك، وحسب ما ورد في بعضها فإنها تعود إلى:« أن أسلافهم من حمير كانوا يتلثمون لشدة الحر والبرد يفعله الخواص منهم، فكثر ذلك حتى صار يفعله عامتهم»[13]. ومنها أيضاً:« أنهم آمنوا بالرسولρ وكانوا قلة فاضطروا للهرب، عندما غلبهم أهلال كفر فتلثَّموا قصد التمويه»[14].
والمرجح في استخدام اللِّثام، هو أن يكون قد اتُخذ لأول مرة لأجل الحماية من الغبار ومنغصات جو الصحراء، فتوارثه الأبناء عن الآباء حتى صار عادةً بمرور الزمن، ويعزز هذا الرأي أن الطوارق في الصحراء وإفريقيا الغربية الذين تؤكد بعض الروايات أنهم أحفاد المرابطين لا يزالون يتلثمون إلى اليوم لنفس هذه الأسباب[15].

([8]) ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد، ت(808هـ)، **تاريخ ابن خلدون، المعروف بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م، ج6، ص201.

([9]) ابن خلكان، أبي العباس، ت(681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت، 1984م، ج7، ص128.

([10]) الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لدول المغرب الأقصى**، تح: ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري، (د.ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ج2، ص3.

([11]) ابن أبي زرع، أبو الحسن، ت(726هـ)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تصحيح يوحنا تورنبرغ، (د.ط)، طبعة أوبسالية، عام1917، ص120. وابن خلدون، العبر، ج6، ص200.

([12]) عبد المنعم حمدي محمد حسين، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1997م، ص37.

([13]) ابن خلكان، الوفيات، ج7، ص129.

([14]) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله، ت(776هـ)، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تص: البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، (د.ت)، ص8.

([15]) دندش، دور المرابطين، ص16و30.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

أما عن تسمية المرابطين، فقد تضاربت الروايات حولها، إذ عزا بعض المؤرخين سبب هذه التسمية إلى اعتصامهم بالرباط الذي أنشأه عبد الله بن ياسين[16] في الحوض الأدنى لنهر السنغال، عند بداية حركته الإصلاحية سنة(433هـ/1042م)[17]. وأرجع البعض ظهور الاسم إلى المرحلة التي أعقبت خروج أنصاره من الرباط لقتال بعض القبائل اللَّمتونية المعارضة لدعوته، وكسر شوكتها في إحدى المعارك؛ حيث تمَّ إطلاق اسم المرابطين عليهم تكريماً واعتزازاً بصبرهم وجهادهم[18]، ويستشف من رواية أخرى أن هذا الاسم لم يطلق على جيش عبد الله بن ياسين إلا بعد النصر الذي حققه على حساب دولة برغواطة سنة (450هـ/1058م)[19].

والرأي الغالب أنها مستمدة من عملية المرابطة بالرباط الذي اتخذه ابن ياسين في بداية دعوته لتعليم أتباعه أمور دينهم وعباداتهم.

ثانياً: دوافع تبني المرابطين للمذهب المالكي أساساً لدعوتهم ودولتهم:

لا يختلف اثنان حول ما تناقلته المصادر من أخبار عن تعدد الديانات والمعتقدات التي كان البربر سكان أفريقية والمغرب قد آمنوا بها، ومارسوا طقوسها قبل وصول الإسلام إليهم مع بداية القرن الثاني للهجرة، والتي كانت في الغالب نابعة من الطبيعة البيئية والإنسانية كسائر الأمم والشعوب البدائية، أو أنها تكون تابعة لديانة الغازي الأجنبي المتغلب على بلادهم، فزيادة على عبادة الأوثان والأصنام فمنهم من تنصر ومنهم من تهود، وآخرون كانوا مجوسًا يعبدون الشمس والقمر والأصنام، وهذا هو الذي قد ذهب ابن خلدون إلى ذكره في قوله:[فإن ديانة قبائل صنهاجة أهل اللِّثام قبل أن تبلغهم حملات الفتح العربي (الإسلامي)، كانت المجوسية شأنها في ذلك شأن معظم برابرة المغرب... ولم يزالوا مستقرين على تلك الحال حتى كان إسلامهم بعد فتح الأندلس لعهد المائة الثالثة][20]

([16]) ابن خلدون، العبر، ج6، ص243. وابن أبي زرع، الأنيس، ص125.

([17]) ابن خلدون، نفسه، ج6، ص243.

([18]) ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد، كان حياً سنة(712هـ)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج4، ص12.

([19]) إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين(المجتمع، الذهنيات، الأولياء)**، ط1، دارالطليعة، بيروت، 1991م، ص8.

([20]) ابن خلدون، العبر، ج6، ص182-183.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

ووفق ما ذهب إليه ابن خلدون، فإن إسلام صنهاجة اللِّثام قد بدأ في عهد عقبة ابن نافع[21]، وتأكد في عهد الأدارسة[22]، ووضح وضوحاً تاماً في القرن الثالث الهجري، التاسع ميلادي[23].

بذلك تكون القبائل الصنهاجية، قد تعرفت على الإسلام لأول مرة بعد اصطدامها بحملات الفتح الإسلامي الذي مسَّ بشكل خاص قبائل صنهاجة الضاربة في بلاد السوس الأقصى[24]، إلا أن هذه العملية لم تؤد إلى إسلام كل الصنهاجيين بشكل نهائي؛ لأن المصادر ظلت تتحدث بعدها عن قدوم حملات أخرى إليها، كانت تنطلق من بلاد السوس في اتجاه الصحراء، ويفترض أنها وصلت إلى حدود نهر السنغال[25].

غير أن وصول الإسلام للقبائل الصنهاجية وتعرفها عليه، قد لا يعني تمكين الإسلام بينهم بشكل كافٍ، بدليل حالة البعد عن تعاليم الإسلام والجهل بأركانه، التي أوجدتهم عليها داعية المرابطين عبد الله بن ياسين في بداية بث دعوته بينهم، بل إن ما يمكن فهمه من وجود المذهب السني بالمنطقة هو تميز الإسلام الصنهاجي عمَّا جاوره من المذاهب والفرق المنتشرة آنذاك حول الصحراء، ومن هنا لم ينسب الصنهاجيون أي من تلك الفرق والمذاهب، ولم يصنفوا في الروايات التي أشارت إليهم إلا في عداد أهل السنة[26]. فهل كانت هذه الصفات المميزة لإسلام قبائل صنهاجة المرابطية في البداية بكونه سنياً، بمثابة العامل الحاسم والمؤثر في االإختيارات المذهبية للدعوة والدولة المرابطية فيما بعد؟

ومما سبق ذكره، يتبين بأن هناك عدة عوامل كثيرة تقف وراء إقدام المرابطين على تبني المذهب المالكي، وجعله المذهب الرسمي لدعوتهم ودولتهم لاحقاً، منها عدم تقبل قبائل صنهاجة الصحراويين للنزاعات والاختلافات العقائدية والإيمانية المبنية على التأويل والتجريد، وإمعان الرأي والعقل بدل النص والنقل التي تحملها عقائد الفرق وأفكارها، والمذاهب الأخرى من معتزلة وأشعرية وإسماعيلية وخوارج وغيرها، البعيدة عن متناول فهم العامة وعقولهم، هذا بالإضافة إلى قلة وجود أصحاب علم الكلام في الصحراء وقلة تأثيرهم[27]، مما ساعد على اختفاء معتقدات

([21]) عقبة بن نافع الفهري: تابعي جليل ولد في العام العاشر من هجرة الرسولﷺ أي قبل وفاة الرسول بسنة واحدة، لذا عدَّه بعض المؤرخين صحابي بالمولد، تولى إمارة جيش أفريقية مرتين، الأولى سنة(50-55هـ/670-674م)، والثانية من(60-64هـ/679-683م)، اشتهرت ولايته الأولى بتأسيسه لمدينة القيروان قاعدة عسكرية ثابتة لجيوشه، أما ولايته الثانية فقد تميزت بحملته الكبرى التي وصل فيها إلى المحيط الأطلسي في أقصى المغرب، وفي أثناء عودته، استشهد في معركة ضد البربر بقيادة كسيلة زعيم بربر البرانس عند بلدة تهودة في أرض الزاب بالجزائر حالياً، حيث دفن هناك، بالمكان المعروف اليوم باسم سيدي عقبة، بالقرب من بسكرة في الجنوب في ولاية قسنطينة. انظر: ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام**، القسم الثالث، تح: أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص2. وكذا: عبد العزيز السيد، **المغرب الكبير**، القاهرة، 1966، ج2، ص ص191 و228.

([22]) الأدارسة: نسبة إلى إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب τ، لحق بالمغرب سنة(172هـ/788م) بعد موقعة فخ (169هـ/785م) التي أقامها العباسيون ضد آل البيت، نزل على قبيلة أوربة من بربر البرانس، فالتف حوله البربر، وتزوج منهم، وبايعوه، وأسس الدولة الإدريسية (172هـ/788م)، توفي مسموماً بيد أحد رجال هارون الرشيد سنة (175هـ/790م). انظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، مصدر سابق، ص51، وابن الخطيب، أعمال الأعلام، مصدر سابق، ص ص190-194.

([23]) julien charles (a), **histoire de la frique de nord** , paris ,1931, p376. -وحسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين- صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى-**، دار الفكر العربي، القاهرة، د(ط . ت)، ص71.

([24]) حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص71.

([25]) حماه الله ولد السالم، **الأصول الفكرية لدولة المرابطين وآثارها الصحراوية**، مجلة علوم انسانية، (العدد40)، 2006م، ص7. مجلة الكترونية، *WWW.ULUM . NL*

([26]) ولد السالم، الأصول الفكرية، ص5.

([27]) حماه الله ولد السالم، **حركة المرابطين بين العصبية والدعوة**، دار أبي الرقراق للنشر، الرباط، 2015م، (د.ط)، ص53.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

هذه الفرق من المذهب الرسمي الذي استقر عليه الإسلام المرابطي، وكانت المساعدة في تمكين المذهب المالكي في الصحراء وفي فكر الدعوة المرابطية، فطبيعة المذهب المالكي من حيث مبادئه الابتعاد عن أساليب أصحاب علم الكلام والرأي والتعقيد، ومن ثمَّ ذلك الأصل المالكي القائم على كراهة ما ليس تحته عمل من قضايا ومسائل الأحكام، فالمذهب المالكي لا يقوم على الرأي والقياس بقدر ما يقوم على النص والنقل وعلى الأثر والرواية[28].

فلربما هذا جميعه هو الذي جعل المذهب المالكي يمثل الوجه الآخر لمذهب السلف وعقيدتهم التي هي على الأرجح المذهب الذي تقبله أهل الصحراء لبساطته ووضوحه، وربما هذا الواقع هو الذي عناه ابن خلدون حين قال:[فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا لأهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي عندهم غضاً، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع لغيره من المذاهب][29]. وأن هذه الخصائص التي امتاز بها المذهب المالكي جعلت قبائل صنهاجة تميل إليه، كونهم بدوًا لا يتقبلون المذاهب الفكرية التي تميل إلى التعقيد والتأويل[30].

ومن هنا كان الصنهاجيون يميلون دائماً إلى الأفكار التي تلائم حياتهم البدائية المتمثلة في زهد ضارب في البساطة، وورع صارم يتمثل في صرامة الأحكام وسد الذرائع[31]، إلى جانب القدرة على التكيف مع الواقع، وما يعرضه بين الحين والآخر من مشاكل تستدعي إيجاد مقابل لها على مستوى الفقه المالكي، وهذا من دون نسيان ارتباط المشروع المرابطي بمجموعة من الفقهاء المالكيين، أمثال أبي عمران الفاسي[32]، ووجاج بن زلو اللَّمطي[33]،

([28]) عباس الجراري، وحدة المغرب، ج3، ص194.

([29]) ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد، ت(808هـ)، **المقدمة**، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 2007م، ص457.

([30]) ولد السالم، حركة المرابطين، ص55.

([31]) أشارت المصادر إلى أسباب تشدد ابن ياسين في تطبيق الأحكام حتى اعتبر ذلك مأخذاً على دعوته وعلمه، ومن ذلك أنه كان يعاقب المتخلف عن صلاة الجماعة بضربه 20 سوطاً، والذي فاتته الركعة الواحدة فيضربه 5 أسواط. راجع: البكري، أبي عبيد، ت(487هـ)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، (د.ط)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص169. ويبدو أن هذا التشدد قد اقتضته اعتبارات ظرفية، وهو ما أشار إليه القاضي عياض حينما نبه إلى أن ابن ياسين قد أخذ صنهاجة بصلاة الجماعة، إذ كانوا عنده ممن لا تصح له صلاة إلا مأموماً لجهلهم بالقراءة والصلاة". راجع: القاضي عياض بن موسى السبتي، ت(544هـ)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1983م، ج8، ص82.

([32]) هو موسى بن عيسى بن أبي حاج بن وليم بن الخير الغفجومي نسبةً إلى غفجوم بطن من زناته (368هـ430/979–1039م)، وهو شيخ المالكية بالقيروان، أصله من فاس، نزل القيروان وتلقى تعليمه بها، حتى أصبح يعرف بفقيه القيروان، وإمام وقته، سمع بالقيروان من أبي الحسن القابسي وغيره، دخل الأندلس وتفقه بها على عدة مشايخ، كأبي محمد الأصيلي، وعبد الوارث بن سفيان وغيرهم، وكانت له رحلة إلى المشرق، فحج ووصل إلى العراق، أخذ فيها عن عدة مشايخ أبرزهم أبي بكر الباقلاني، وأبي القاسم السقطي وغيرهم، وسمع بمصر من أبي لحسن بن أبي جدار، وأحمد بن نور القاضي وغيرهم، وكان مكثرًا عالماً، ثم رجع إلى القيروان فاستقر بها، ولم يزل إماماً بالمغرب، وأخذ عنه لنَّاس، وطارت فتاويه في المشرق والمغرب، واعتنى النَّاس بقوله، وبقي يجلس للمذاكرة والسماع في داره حتى وفاته في13 رمضان سنة (430هـ)، وعمره 62 سنة. انظر: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن عماد الحنبلي، شهاب الدين الدمشقي (1089/1032هـ)، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1989م، ج5، ص153. وأيضاً: القاضي عياض، ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج7، ص ص243 – 252.

([33]) فقيه مغربي من أهل السوس الأقصى، رحل إلى القيروان، فأخذ عن أبي عمران الفاسي، ثم عاد إلى السوس، فبنى داراً سماها بدار المرابطين لطلبة العلم وقراء القرآن، وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه، وإذا أصابهم قحط استسقوا به، وهو شيخ ومعلم عبد الله بن ياسين داعية المرابطين، يعتبر أحد المساهمين في تأسيس الدولة المرابطية، وذلك عندما طلب الشيخ أبو عمران الفاسي من تلميذه وأجاج بن زلو أن يرسل مع زعيم قبيلة جدالة يحي بن إبراهيم حين زاره في القيروان بأن يرسل معه فقيهاً عالماً، يعلم قومه أمور دينهم، وبعد أن رفض الجميع وقع اختياره على

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

وعثمان بن مالك[34]، وهو زعيم فقهاء المغرب بوقته، وداعية المرابطين عبد الله بن ياسين، قد جعل خطاب الحركة مالكياً منذ اللحظة الأولى، وأن قيام الدولة المرابطية قد مكن للمذهب المالكي بين الرعية وبين أهل الحكم أنفسهم[35].

ويتأكد الارتباط بين القرارات السياسية والدينية على مستوى السلطة المرابطية، وعلاقة صحراء الملثمين بهما، من مراجعة فتويين ذكرتا في المعيار المغرب للونشريسي إحداهما للفقيه ابن رشد[36]، والأخرى للفقيه ابن حمدين[37]، وهما إجابة عن سؤالين أتيا من قبل مرابطي الصحراء بشأن الأموال المكتسبة من المواشي التي خالطها المال المغتصب من عملية السلب والنهب التي ظلت بعض قبائل المنطقة تمارسها حتى قبل بدء دعوة المرابطين، واستفتاء هذين الفقيهين هو يدل على ارتباط المذهب المالكي بالسلطة، لكون أن الفقيهين كانا من كبار قضاة المرابطين، فابن حمدين هو مدبر عملية إحراق كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي سنة (505هـ/ 1111م)، وكان يتبنى علناً خطاب الدولة ويدافع عنه، وأما ابن رشد فقد ظَلَّ من كبار فقهاء الحكم المرابطي رغم أنه وقف من عملية الإحراق موقفاً صامتاً، يفهم منه أنه كان لكتاب الإحياء أكثر مما يكون عليه، إلا أنه ظلَّ يحترم الشرعية المرابطية، ويذكر رموزها بالاحترام والتعظيم[38].

وإن عملية تَوَافُق الموقف السياسي والفكري الداعم للمذهب المالكي في دولة المرابطين، يمكن فهمها من قول ابن حزم الذي مفاده أن مذهبين انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان، وهما مذهب أبي حنيفة، ومذهب مالك ابن أنس[39].

وإلى جانب هذا التعلق الكبير للقبائل الصحراوية المرابطية بالمذهب الرسمي للدولة وممثليه، ترد إشارات هامة ضمن فتوى ابن رشد تؤكد حضور الوجه الآخر لعملية التعلق نفسه وهو الوجه السياسي، ففتوى ابن رشد تشير إلى أن الأموال المختلطة المشار إليها كانت تقدم منها الهدايا لأمير المسلمين، ناهيك عن أنها تُصرِّح كذلك بوجود أمير مرابطي على الصحراء وقبائلها، وهو الأمر الذي يؤكد أن المنطقة قد ظَلَّت على تبعيتها القوية للسلطة

عبد الله بن ياسين للقيام بتلك المهمة، توفي سنة(445هـ/1054م)، ينظر: أبي الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحي المعروف بالتادلي، ت(617هـ)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآدب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1984م، ص89. وينظر كذلك: ابن الخطيب، الحلل الموشية، مصدر سابق، ص9.

([34]) فقيه فاس وزعيم فقهاء المغرب في وقته، أخذ عنه فقهاء فاس، واتفقوا عليه، وله تعاليق على مدونة الإمام سحنون بن سعيد التنوخي. ينظر: ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين المالكي، (ت799هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص286.

([35]) ولد السالم، الحركة المرابطية، ص55.

([36]) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد(450–520هـ/1058–1126م)، قاضي الجماعة بقرطبة على عهد المرابطين، من أعيان المالكية، له عدة تصانيف، مولده ووفاته بقرطبة. انظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، مصدر سابق، ص122. وكذا: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، ج5، ص316–317.

([37]) أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين(439–508هـ/1048–1114م)، من أجل فقهاء الأندلس وزعيمهم لعهده، كان على ما يذكره تلميذه عياض ذا نظر صحيح في الفقه والأدب، تولي القضاء بقرطبة بعد وفاة والده سنة(490هـ/1097م) على عهد أمير المرابطين علي بن يوسف ابن تاشفين. ينظر: ابن خاقان، الفتح أبو نصر، ت(528هـ)، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، تح: حسين يوسف خربوش، ط1، مكتبة المنار، عمان، 1989م، ج1، ص326. وأيضاً: القاضي عياض، ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج8، ص193.

([38]) ولد السالم، الحركة المرابطية، ص56.

([39]) ورد هذا القول عند كل من: المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، ت(471هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، (د.ط)، ج2، ص10. وعند ابن خلكان في الوفيات، مصدر سابق، ج6، ص144.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

المرابطية في مراكش ومذهبها الديني على الأقل حتى عهد علي بن يوسف بن تاشفين (500–537هـ/1102–1142م)، ومهما كان دور هذه الملابسات في إبقاء المذهب المالكي اختياراً لإسلام الصحراويين وعلاقتهم بالمرابطين، فإن المستوى المعرفي يظَّل الفيصل في ترسيخ المالكية بين طبقة الفقهاء المرابطين والدعاة الذين بعثوا مشروع الدعوة المرابطية، ومهدوا للمذهب المالكي في الصحراء[40].

لتتواصل عملية حمل المذهب المالكي ونشرها فيما بعد، ليسيطر بالمغرب الأقصى[41]، وليس ذلك فحسب؛ بل إن المذهب المالكي قد انتصر في المغرب الإسلامي كله بفضل المرابطين[42] وجهودهم المبذولة من أجل نشر رقعة التوحيد المذهبي في المنطقة وتوسيعها.

ثالثاً: الأسس المذهبية التي قام عليها حكم الدولة المرابطية:

وهي التي شكلت القواعد الأساسية لبناء هذه الدولة، وارتكز عليها حكامها في إدارة شؤون البلاد، وذلك التزاماً وتمسكاً بتعاليم دعوتهم التي رسمها الفقيه عبد الله بن ياسين، وسار على نهجها الأمراء المتعاقبين في الحكم، وفيما يلي تفصيل لأهم الأسس التي قام عليها حكم دولة المرابطين في بلاد المغرب والأندلس:

1- إعادة إحياء وبعث فريضة الجهاد:

بحكم طابعها الديني المتميز، ورسالتها النبيلة المتمثلة في تبليغ رسالة الإسلام، فقد توسعت دولة المرابطين في مبدأ الجهاد كثيرًا، وأعادت إلى الأذهان صورة الفتوحات الإسلامية الأولى أيام الخلفاء الراشدين والأمويين فعاشت طوال فترة حكمها رغم قصرها من أجل الجهاد(447–542هـ/1055–1148م)، وسخّرت كل مواردها لهذا العمل الجليل، وجعلت من البلاد التي فتحوها وتملكوها معسكراً ضخماً جاهز الاستعداد لخوض المعارك والحروب، وكذلك عاش لذات الغرض أمرائها الذين لا يبغون من الدنيا سوى الإصلاح[43]. ورغم انشغالها بهذا الركن العظيم، إلا أنها لم تغفل باقي الجوانب الحضارية والاجتماعية في هذه البلاد، وأرست قواعد الأمن والطمأنينة بين الناس، فازدهرت الحياة الاقتصادية والثقافية في جميع أرجاء الدولة[44].

فقبائل الملثمين التي قامت على أكتافها دولة المرابطين، كانت في الواقع قبائل بدوية، ولكنها امتازت بأنها قبائل بناءة وغير مخربة، فلم تكن تغزوا غيرها من القبائل لمجرد السلب والنهب؛ بل من أجل نشر العقيدة السليمة، ولتصلح ما أعوج في الدين، والفضل في ذلك كله يعود لإمامهم عبد الله بن ياسين الذي رباهم على العقيدة السليمة، وعلى التضحية والجهاد في سبيل نصرة دين الله، فقد أثرت فيهم هذه العقيدة التي تلقوها في البدء في رباطه، كما فتحت عقولهم للثقافة الإسلامية والتراث الأصيل، وتركت تعاليمه في نفوسهم أبلغ الأثر، فبادروا منذ اللحظة الأولى

([40]) ولد السالم، الحركة المرابطية، ص57.

([41]) الهنتاتي، نجم الدين، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي الى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004م، (د.ط)، ص134.

([42]) Bourouiba , Rachid , **la doctrine almoravide**, revue de l'occident musulman et de la médetirrranée, n° 13 , 1er semestre, 1973 , france, p141.

([43]) حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص326.

([44]) ابن أبي زرع، الأنيس، ص157.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

التي وطأت فيها أقدامهم أرض المغرب، يُقبلون على المدارس بحماس كبير لأجل التحصيل والتعلم، بل إنهم انكبوا على العلوم ينهلون منها ويأخذون منها بنصيب وافر[45].

2- التوحيد المذهبي لبلاد المغرب والأندلس:

قبل قيام دولة المرابطين كانت هناك بعض المحاولات لتبني المذهب المالكي ونصرته، ومنها التي قامت بها دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى سنة(172-364هـ/789-975م)، التي دعمت ووطدت المذهب المالكي بالبلاد؛ لكن خلال الفترة التي أعقبت سقوط هذه الدولة وحتى قيام دولة المرابطين، دخل المذهب المالكي في صراع مع الفرق الأخرى من شيعة وخوارج وغيرها من الفرق والمذاهب حتى انتصر في النهاية[46].

وتعد قضية التوحيد المذهبي من أهم المسائل التي عمل المرابطين على تحقيقها في بلاد المغرب، حتى تمكن المذهب المالكي في عهدهم من السيطرة على باقي الفرق والمذاهب المنتشرة بالمغرب، وفي مقدمتها المذهب الكوفي[47]، الذي كانت له الصولة والجولة في المغرب، والمذهب الخارجي الذي كانت تعتنقه إمارة بني مدرار بسجلماسة، والمذهب البورغواطي[48] الذي كان قد باض وفرخ في تامسنا[49]، والمذهب الاعتزالي [50] والشيعي الذي يقول: بـ[أن قرنه طلع مع نشوء الدولة الإدريسية][51].

([45]) حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص325.

([46]) حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس(عصر المرابطين والموحدين)**، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م، ص464.

([47]) ينسب إلى الإمام سفيان الثوري، وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، توفي سنة(261هـ/874م)، فقيه الكوفة، اشتهر بالزهد والورع، أمير في الحديث، من كبار الفقهاء، أسس الثوري مذهباً خاصاً به جمع فيه بين أهل الرأي وأهل الحديث، وهو أقرب ما يكون إلى المذهب الحنفي، وقامت أسسه على استنباط الأحكام من القرآن والسنة والاجتهاد والإقتاء بما هو أيسر على الناس. ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ت(748هـ) **العبر في خبر من غبر**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م، م1، ص181. وكذا: **تاريخ بغداد**، للإمام الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، ت(463هـ)، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م، مج10، ص219.

([48]) ديانة برغواطة: تُنسب تعاليمها إلى المتنبئ صالح بن طريف(ت253هـ/868م)، اتَّسمت تعاليمه بالكفر والخروج عن الإسلام، كانت مواطنهم خصوصاً بين المصامدة في بسائط تامسنا، وريف البحر المحيط وسلا وآزمور وآفني وآسفي(وكلها بالمغرب الأقصى)، ولم تتمكن الدولة الإدريسية ولا الدول المتعاقبة على المغرب من القضاء عليهم حتى ظهر المرابطون، الذين تمكنوا من القضاء على تلك الديانة المبتدعة التي كانت تشوبها الضلالات والبدع... ولم تنته هذه الحرب إلا بعد أن قضى المرابطون على هذه البدعة وشتتوا من بقي من أنصارها حياً، وقُتل ابن ياسين خلال المعارك الأولى مع برغواطة سنة(451هـ /1146م). ينظر: ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص244. وكذا: ابن أبي زرع، الأنيس، مصدر سابق، ص1313-133.

([49]) تامسنا: بلاد من قبيلة برغواطه، وهي تقع على الساحل المحيط الأطلسي، وتعرف اليوم في المغرب الأقصى ببلاد الشاوية، وفيها استشهد عبد الله بن ياسين(451هـ/1059م) أثناء قتاله للبرغواطيين، ودفن بمكان بها يسمى كريفلة، وله فيها ضريح لا زال يزار الى اليوم. انظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، مصدر سايق، ص ص82-84. وكذلك: كنون عبد الله، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961م، ج1، ص48.

([50]) تلحق تسمية هذه الفرقة بأتباع أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزَّال مولى بني ضبة(80هـ/131هـ)، الذي تتلمذ على الحسن البصري، ولم يفارقه إلى أن أظهر مقالته في المنزلة بين المنزلتين في حكم مرتكب الكبيرة، وهو مؤسس فرقة الاعتزال، وهو الذي وضع الأصول الخمسة التي يرتكز عليها الاعتزال. ينظر: الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، ت(548هـ)، **الملل والنحل**، تح :عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، 1968 م، (د.ط)، ج1 ، ص47. وأيضاً: البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد الأسفراييني التميمي، ت(429هـ)، **الفرق بين الفرق**، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، (د. ت)، ص20 .

([51]) كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص48.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

فقد كان قيام دولة المرابطين نصرًا للمذهب المالكي في بلاد المغرب، وتأكيداً لدور علماء المذهب وفقهائه فالدولة أساساً هي دعوة إصلاحية استمدت تعاليمها من مذهب الإمام مالك، ثم تطورت من مجرد دعوة إصلاحية إلى حركة جهادية، خلصت المغرب من الضلالات المنتشرة به كبدعة برغواطة، ووحدت بلاد المغرب في ظِّل تعاليم الإمام مالك، وتعزى أسباب ذلك إلى مدى النفوذ الذي كان يتمتع به علماء وفقهاء المالكية في الدولة المرابطية، وذلك بفضل دراستهم للمذهب وتطبيقهم لأحكامه في شتى مجالات الحياة، وإلى تأييد ولاة الأمور المالكيين وعلماء الدولة المالكية[52].

وفي هذا الصدد يقول عبد الواحد المراكشي:[ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من عَلِمَ عِلْمَ الفروع أعني فروع مذهب الإمام مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله ρ ، فلم يكن أحدٌ من مشاهير ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء][53].

إلى ذلك، فقد صارت الفتيا والأحكام مستمدة من مذهب الإمام مالك حتى نهاية حكم الدولة المرابطية، ولا يلتفت إلى غيرها من الأحكام، ويستشف ذلك من الرسالة الصادرة عن الأمير تاشفين بن علي بن يوسف إلى أهل بلنسيه سنة (538هـ/1143م) التي حدد فيها لهم بأن مناط الأحكام في الدولة هو مذهب الإمام مالك ابن أنس[54].

ومن ناحية أخرى، فقد صارت المدن المغربية أثناء حكم المرابطين مراكز لدراسة المذهب المالكي وتخريج العلماء المالكيين، ومن هذه المراكز مدينة تلمسان[55] التي كانت دار العلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب الإمام مالك[56].

وقد أنجبت البلاد كثيراً من علماء المالكية الذين حفلت بهم المجالس والندوات ودور العلم، وفي مقدمتهم القاضي عياض[57]، الذي برز دوره في رفع لواء الثورة ضد عبد المؤمن بن علي[58] والموحدين، فكان بذلك المدافع

([52]) حسن علي حسن، قيام دولة المرابطين، ص464.

([53]) يقصد بقوله الأمير– علي بن يوسف بن تاشفين–. المراكشي، عبد الواحد، ت(647هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، (د.ط)، مطبعة بريل، ليدن، 1881م، ص133.

([54]) حسين مؤنس، **نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين**، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مج3، 1953م، ص20.

([55]) هي مدينة واقعة بالغرب الجزائري على مسافة تقارب 600 كلم من مدينة الجزائر العاصمة، تشتهر بإرثها التاريخي، وحسن مناظرها وموقعها الجغرافي، ولعلّ أول أشار إلى هذا التمييز هو البكري في القرن الخامس الهجري خلال وصفه لمدينة تلمسان بقوله: "وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين وهو نهر سطسيف، وهي دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق ". انظر: البكري، المغرب، مرجع سابق، ص76–77.

([56]) البكري، المغرب، ص77.

([57]) القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، إمام المالكية وقدوتهم، وجامع مذهب الإمام مالك، وشارح أقواله المدافع عنه، وله عدة المؤلفات أهمها: كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك. انظر: كنون، النبوغ المغربي، مرجع سابق، ص87.

([58]) هو عبد المؤمن بن علي الكومي، ولد بتاجرة، وهي بلدة صغيرة في صميم الجبال في منتصف الطريق بين هنين وندرومة بتلمسان، ظل ملازماً لابن تومرت يأخذ من علمه إلى أن بايعه مع بقية المجموعة من طلبته عام(515هـ/1121م).h نظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، مصدر سابق، ص 139 وكذا: ابن أبي زرع، الأنيس، مصدر سابق، ص203 - 204.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

عن مذهب الإمام مالك ضد الدعوة الموحدية القائمة على أفكار المهدي بن تومرت[59]، التي ارتكز فيها على تشبث العلماء والفقهاء المرابطين بالفروع وتركهم للأصول، ومعارضتهم لعلم الكلام[60]؛ لكون أن ابن تومرت لم يستطع مهاجمة المذهب المالكي الذي أصبح عقيدةً ومذهباً لعامة الشعب، الأمر الذي جعله يتحايل على أتباعه بأن ألف لهم كتاباً أسماه –الموطأ– في الحديث، وذلك على شاكلة كتاب موطأ الإمام مالك الذي جمع فيه جميع الأحاديث النبوية التي وردت في موطأ الإمام مالك بعد حذف معظم الإسناد منها للاختصار[61]، وهو ثاني أهم كتبه بعد كتاب المرشدة في التوحيد والعقيدة.

ونظرًا لمكانة المذهب المالكي، وتقديراً لتضحيات المرابطين في سبيل نصرته وتمكينه، وحفاظاً على وحدة البلاد السياسية والمذهبية؛ فقد كان من الطبيعي أن يتصدى الأمراء المرابطين لكل المواقف والأحكام المخالفة لهذا المذهب الذي تقوم عليه سياسة الدولة وتقاليدها، وأن يعتبروها بدعاً يجب محاربتها والتخلص منها، مثلما كان الأمر مع حادثة إحراق كتب أبي حامد الغزالي التي أُعتبرت في نظر السلطة المرابطية مثالاً للانحراف عن الاتجاه المذهبي الرسمي للدولة[62].

وغيرها من الأحداث المماثلة التي وقعت مع المتصوفة بالأندلس، وأصحاب الرأي وعلم الكلام والفلسفة، وكل من صنفوا من قبل المرابطين في خانة المخالفين لتوجه الدولة ومذهبها الرسمي.

ومهما يكن من أمر؛ فإن المذهب المالكي قد توطد فقهاً واعتقاداً في بلاد المغرب أثناء عصر المرابطين خاصةً، وإن المغاربة قد شايعوا مذهب الإمام مالك فقهاً وسلوكاً وعقيدةً، إلى أن تجدد الجدل المذهبي في بلاد المغرب في أواخر العهد المرابطي مع الموحدين، واشتد الخلاف بينهم إلى حد التناحر والقتال وتكفير طرفاً للآخر[63].

كما واكبت الرسائل المرابطية هذا الصراع المذهبي في بلاد المغرب وعكست حرص المرابطين الشديد على وحدة المذهب المالكي، ومنها على سبيل الذكر رسالة الأمير تاشفين بن علي بن يوسف التي وجهها إلى واليه على بلنسية أبو زكريا يحيى بن غانية التي يحثه فيها على ضرورة التمسك بمذهب الإمام مالك والتصدي لما سواه،

([59]) هو الفقيه محمد بن عبد الله بن تومرت من قبيلة هرغة إحدى بطون مصمودة، الساكنة في بلاد السوس الأقصى بالمغرب، ولد عام (485هـ/1092م) بإحدى قرى هرغة الواقعة على جبل إيجليز، من أسرة متدينة، رحل الى المشرق الإسلامي عام(501هـ/ 1107م) لطلب العلم، و بعد أن قضى عشر سنوات هناك رجع إلى بلاده، فالتقى بعبد المؤمن بن علي بقرية ملالة قرب بجاية، وأعجب بعلمه، كانت تينملل مقرًا لدعوته، بايعه الناس عام(515هـ/1121م)، توفي عام(524هـ/1130م). انظر: البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، ت(594هـ)، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة، الرباط، (د.ط)، 1971م، ص59. وكذا: عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، (د.ط)، ص15و ما بعدها.

([60]) استغل ابن تومرت بعض صفات المرابطين، وأطلق عليهم عدة تسميات منها: المجسمون؛ لأنهم عدلوا عن التأويل وقبلوا النُّصوص على علاتها، وأقروا الصفات لله تعالى، ولقبهم بالزراجنة (الزرجان طائر أبيض الريش أسود البطن)، وأخيراً لقبهم بالحشم. وأخذ يهاجم التلثم عند المرابطين، وأن ذلك من فعل النِّساء ولايجوز للرجال التشبه بهم؛ مستنداً لأحاديث رسول الله ﷺ في لعن المتشبهين من الرجال بالنِّساء، وأنه لا تجوز طاعتهم لأنهم كفار ومنافقون ومتبعو الهوى ومعتدون ومفسدون وجاهلون، واستشهد بالآيات القرآنية في محاربة أصحاب الصفات السابقة. hانظر: ابن أبي زرع، الأنيس، مصدر سابق، ص182–183. وكذا: المراكشي، المصدر السابق، المعجب، ص143. وابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص229. وكذلك: البيذق، أخبار المهدي، مصدر سابق، ص51.

([61]) البكري، المغرب، ص172.

([62]) حسن علي حسن، الحضارة، ص464–465.

([63]) المرجع نفسه، ص458.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

وضرورة الالتزام بالإفتاء وفق المذهب المالكي[64]، ومما ورد فيها قوله: « واعلموا رحمكم الله أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والبدا على ما اتفق عليه السلف الصالح رحمهم الله، من الاقتصار على مذهب أبي عبد الله مالك بن أنس τ، فلا عدول لقاضٍ ولا مفتٍ عن مذهبه، ولا يأخذ في تحليل ولا تحريم إلا به، ومن حاد عن رأيه بفتواه ومال من الأئمة إلى سواه، فقد ركب رأسه وأتبع هواه»[65].

قد يأتي نص هذه المراسلة في إطار نصرة المرابطين للمذهب المالكي، ومحاصرة التيارات والفرق الأخرى، ومحاولة التصدي لاإضطرابات المذهبية والفكرية التي تسببت فيها بعض الحركات الفكرية الصوفية في بلاد الأندلس كحركة ابن مسرة[66]، وابن برجان[67]، وابن قسي[68] الذي يعد صاحب أول ثورة ضد المرابطين في المغرب الإسلامي[69]

وربما هو الأمر الذي يمكن من تفهم الأوامر التي تضمنتها رسالة تاشفين بن علي الموجه إلى قاضي قضاته بإشبيلية، والتي تقضي بضرورة الالتزام والاقتصار على مذهب الإمام مالك، واتخاذه دليل العمل الوحيد في أحكامهم وفتاويهم، وتهديد عدم الملتزمين به بالعقاب باعتبارهم خارجين عن الإجماع الذي اتفق عليه السلف الصالح، والذي سالت دماء المرابطين من أجل جمع كلمة المغاربة عليه.

3- محاربة البدع والضلالات والتصدي لها:

حرصاً منهم على مواصلة رسالة داعيتهم الأول عبد الله بن ياسين فإن الزعماء المرابطين قد جعلوا قضية البدع على رأس القضايا التي تجندوا للتصدي لها ومحاربتها؛ رافضين أي تحريف أو تبديل في الدين، من خلال الأمر بمعاقبة أصحابها والقضاء على معالمها، وذلك حفاظاً على وحدة الأمة وسلامة مذهبها الرسمي، ولذلك كان

([64]) إن فكرة الدعوة إلى التمسك بمذهب مالك ومنع الإفتاء بغيره من المذاهب تعود إلى القرن الثالث الهجري عندما تولى سحنون قضاء أفريقية سنة(234هـ/848م)، حيث كان يمنع الفتوى من غير مذهب مالك، بل ويؤدب المخالفين على ذلك.h نظر: الونشريسي، عبد الواحد، ت(914هـ)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تح: مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1981م، ج2، ص169.

([65]) مؤنس حسين، **نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2000م، ص20. وحسن علي حسن، الحضارة، ص465.

([66]) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة، ولد بقرطبة عام(269هـ/882م)، كان يجمع بين العلم والتجارة فكثرت رحلاته إلى المشرق تتلمذ على أبيه الذي كان يميل إلى الاعتزال، أُتهم بالزَّندقة لما كان يظهره من أقوال فخرج فاراً، وتردد بالمشرق مدة، فاشتَغَل بملاقاة أهل الجدل، ثم انصرف إلى الأندلس فأظهر نسُكاً أو ورعاً، واغتر النَّاس بظاهره، فاختلفوا إليه وسمعوا منه، ثم ظهر النَّاس على سوء معتقده، وتمادى في صحبته آخرون فدانوا بنحلته، وكانت نحلته مزيجاً من التصوف والاعتزال والفلسفة الغنوصية. ينظر: ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد، ت(403هـ)، **تاريخ علماء الأندلس**، بنشره وتصحيح وطباعة: عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م، ج2، ص41.

([67]) أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي المغربي، ثم الأندلسي الإشبيلي، المعروف بابن برجان، مفسر، صوفي، مقرىء، محدث، متكلم، مشارك في الهندسة والحساب، وله تفسير القرآن العظيم، وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات، توفي مغرباً عن وطنه بمراكش بعد سنة(530هـ/1135م) وقيل سنة(563هـ/1141م). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج4، ص236.

([68]) يعد أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي، أحد الأعلام البارزين في التصوف بالمغرب الإسلامي، وهو صاحب أول ثورة ضد المرابطين عرفت بثورة المريدين التي جسدت الموقف المتطرف من السلطة المرابطية آنذاك، بعيداً عن الكرامات والاعتدال في تبليغ خطابه، قدر اعتماده على أسلوب الثورة والعنف، وقد عبر عن ذلك في كتابه "خلع النعلين" عن هذه الحركات. انظر: بوتشيش، القادري إبراهيم، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، مرجع سابق، ص163.

([69]) القادري بوتشيش، المغرب والأندلس ، ص163.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

الأمراء المرابطون يبادرون إلى تنبيه أتباعهم على ضرورة الالتزام بأحكام الشريعة وسلامة أداء الفروض الدينية، واجتناب أي تحريف أو تبديل قد يخل بأصول العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومن هذا المنطلق تصدى المرابطون لكل الأفعال التي تسيء إلى الدين، ويتضح ذلك من مواقفهم التي تعكسها رسائلهم إلى عمالهم وولاتهم في الأقاليم، كالرسالة التي بعث بها الأمير علي بن يوسف إلى القائد أبي محمد بن فاطمة عامله على إشبيلية، يأمره فيها بعزل أي عامل عن عمله ومعاقبته في بدنه إذا ما ثبت عليه أي تحريف في الأحكام الدينية، ومما ورد فيها قوله:[ومن تثبت عليه من عمالك زيادة أو خرق في أمر عادة، أو غير رسم أو بدل حكماً، أو أخذ لنفسه درهماً ظلماً، فأعزله من عمله وأعاقبه في بدنه][70].

كما يتبين من الرسالة أيضاً موقف المرابطين الداعي إلى تقيد العمال في شؤون تدبير حكمهم بأصول العقيدة الصحيحة التي جاهدت الدعوة المرابطية من أجل تثبيتها في البلاد، وعدم السماح بأي تحريف لرسومها أو انتفاع منها ومعاقبة المخالفين لأوامرها، ولعَّل من أبرز المظاهر تجسيداً لموقف المرابطين الصارم من البدع حفاظاً على وحدة المذهب المالكي– قضية إحراق كتاب إحياء علوم الدين–[71] للإمام أبو حامد الغزالي التي بدأت في عهد الأمير علي بن يوسف وامتدت إلى عهد ابنه تاشفين، وتجاوز صداها بلاد المغرب نحو بلاد المشرق في مطلع القرن السادس الهجري[72].

وإننا نجد في رسائل المرابطين ما يؤكد دعوتهم إلى إحراق كل ما عدّ عندهم من كتب البدع واستئصال شأفتها، ومنها كتب أبي حامد الغزالي التي وردت الإشارة إليه بالاسم في إحدى رسائل تاشفين، ومما جاء فيها قوله مخاطباً أحد ولاته: [... ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة وخاصةً وفقكم الله كتب أبي حامد الغزالي، فليتبع أثرها، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها، ويبحث عليها، وتغلظ الأيمان على من يتهم بكتمانها][73].

لكن الأمر الذي يتطلب التنويه إليه هو أنه وعلى الرغم من كل الدوافع والأسباب المسوغة لعملية الإحراق، فإن موقف فقهاء المالكية الموالين للسلطة المرابطية لم يكن موحداً تجاه كتاب الإحياء، فإن كان القاضي ابن حمدين يمثل الجناح المتشدد؛ فإننا نجد فقهاء آخرين كان لهم موقف مغاير تماماً، منهم أبو محمد عبد الله الرجراجي(ت540هـ/1145م)، وأبو الحسن علي بن محمد الجذامي من أهل ألميرية الذي أوجب تأديب محرقها[74]، وأبو الفضل ابن النحوي(ت513هـ/1119م) الذي كان له اعتناء بالإحياء[75]. فعندما أفتى الفقهاء بإحراق الإحياء ووصل كتاب علي بن يوسف بن تاشفين بتحليف النَّاس بالإيمان المغلظة أن ليس عندهم الإحياء، كتب إلى

([70]) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج4، ص63.

([71]) كان إحراق كتاب الإحياء قد أوجد خلافاً حوله بين الفقهاء، بين معارض ومؤيد، فقد صدرت أوامر أمير المسلمين علي بن يوسف بحرق كتاب الغزالي بناءً على إجماع قاضي قرطبة أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين وفقهائها، وذلك في أول عام(505هـ/1113م) حسب ما ذكره ابن القطان المراكشي، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد المالك، ت(628هـ)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م، (د.ط)، ص70–71. وحسن علي حسن، المرجع السابق، الحضارة، ص451.

([72]) حسن علي حسن، الحضارة، ص451.

([73]) حسين مؤنس، نصوص سياسية، ص113.

(4) ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، ت(658هـ)، **معجم أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000م، ص271–272.

(5) التادلي، التشوف، ص95–96.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

السلطان، وأفتى بعدم لزوم تلقي الإيمان، ونسخ بنفسه كتاب الإحياء في ثلاثين جزءًا[76]. وأبو محمد عبد الله المليجي المتوفي قبل(540هـ/1145م) الذي وصف بأنه كان شديد الورع والزهد « ولما أفتى الفقهاء بمراكش بإحراق كتاب الإحياء للغزالي وأحرق بصحن جامع السلطان، سأل أبو محمد عن الذين أفتوا بإحراقه، فكان كلما سمي له واحد منهم دعا عليه، ثم قال: والله لا أفلح هؤلاء الأشقياء»[77].

4 – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهو من الواجبات الشرعية التي اتفقت الأمة الإسلامية على وجوب الأخذ به؛ امتثالاً لأوامر القرآن الكريم والسنة المطهرة المتمثلة في قوله تعالى:﴿ **وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾[78].

ويرى بعض المؤرخين بأن فقهاء المالكية في المغرب قد شنُّوا حرباً على المنكرات، فضيقوا على أهلها في ملاهيهم؛ بل حاربوا جميع النحل والفرق الضالة كالصفرية والشيعة ذات المعتقدات الضالة والفاسدة، وكان طبيعياً أن يرتسم عبد الله بن ياسين خطى هؤلاء الفقهاء، فلم يكتف بتعليم الناس وتفقيههم في دينهم؛ بل أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، واستطاع أن يجند أمةً بأسرها تقوم بذلك، وأن يخلق جيلاً من المحاربين الأشداء الذين يتعصبون لفكرته، ويسارعون إلى نصرته، ويبايعونه على الحق، وهو في ذلك قد التزم حدود الشرع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأمر بقلبه وبلسانه، وسالم وأصلح، أنذر وأعذر، حتى أخفق فلم يجد مناصاً من سل السيف دفاعاً عن الحق[79].

وإذا كانت أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقتضي:[بألا يؤخذ مال المسلم بغير حق، ولا يضرب ظهره بغير حق][80]. فإنه لم يرد عن ابن ياسين أنه تجاوز هذا الحد، وإن كان لا يحل لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن:[يهتك حريماً ولا أن يأخذ مالاً بغير حق][81]. فإن ابن ياسين قد عفّ عن ذلك؛ بل كان حرباً على الإثم والبدع أينما كانوا، فلا تكاد عصبته تطأ أرضاً حتى تغير المنكر، وتقطع المزامير، وتريق دنان الخمر[82].

5– التزام أحكام الشرع في الفروض الدينية:

حرص عبد الله بن ياسين في بداية دعوته على تعليم الناس الصلاة والزكاة وأحكام الصيام، وذلك بعدما وجدهم لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين[83]، فإقامة الصلاة وتأديتها على أحسن وجه، كانت تحتل ركناً أساسياً في اهتمامه، باعتبارها الركن الأول من العبادة بعد الشهادتين؛ لذا كان يُلزم أتباعه بالمحافظة على الصلاة وتأديتها مع الجماعة، ومن تخلف عنها يضربه عشرين سوطاً، وأما الزكاة التي هي الركن الثالث من أركان الدين؛ فقد بيّن عبد

(6) صالح أحمد الشامي، **الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة**، ط2، دار القلم، دمشق، 2002م، ص71و74.

(7) التادلي، التشوف، ص145.

([78]) سورة آل عمران، جزء من الآية: 104.

([79]) حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص172.

([80]) ابن حزم، الأندلسي الظاهري، ت(456هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، (د.ط)، دار الجيل، بيروت، ج4، ص173.

([81]) المصدر نفسه، ج4، ص173.

([82]) ابن أبي زرع، الأنيس، ص71.

([83]) المصدر نفسه، ص78.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

الله بن ياسين لأتباعه مقاديرها وحدّدها لهم وفق معايير الشرع، وقضى على كل المغارم والمكوس والأموال التي كانت تخالف أحكام الدين[84].

والملاحظ هو أنه من بين المبادئ الإصلاحية التي أخذ بها عبد الله بن ياسين في دعوته، هو أن يزيل على الناس ما كانوا يعانون منه من ضرائب جائرة فرضها الحكام الظالمين على رعيتهم، وقد اضطر ابن ياسين إلى رفعها عن الناس، واكتفى بما أوجبه عليهم كتاب الله وسنة نبيه من زكاة، والعُشر على أهل الذِّمة الذين يتاجرون في بلاد المسلمين، كما كان ابن ياسين يرتب العمال في كل البلاد التي يحل بها، ويأمر بإقامة العدل وإظهار السنة، وأخذ الزكاة والعُشر من القبائل، وإسقاط ما سوى ذلك من المغارم التي طالما كانت السبب في تمردهم وانحرافهم عن الجادة[85].

فكان لهذه الإصلاحات التأثير البالغ المدى في تاريخ الدعوة المرابطية؛ بأن أظهرت للناس في بلاد المغرب المغرب والأندلس أن المرابطين لا يبغون جاهاً ولا مالاً؛ إنما يبغون الإصلاح وإنقاذ الناس من الجور والعسف، فأخذ الناس يتطلعون إلى هذا الشعب الذي بُعِثَ بعثاً جديداً، ويستنجدون بهم من ظلم حكامهم، ويرحبون بهم ، وتأييدهم في كل مكان[86].

رابعاً– مظاهر الالتزام بتعاليم الدعوة الدينية المالكية وأثرها في الدولة والمجتمع المرابطي:

من خلال تتبعنا لطبيعة الحكم المرابطي ومميزاته عبر مختلف مراحله، يتبين لنا مدى حرص الأمراء المرابطين ومن ورائهم الفقهاء والعلماء وفئات المجتمع المرابطي على التمسك بالكتاب والسنة، وبتعاليم مذهب الإمام مالك τ في جميع أمور عباداتهم ومعاملاتهم، وكانت أثار هذه الحياة ظاهرة من خلال ما يلي:

1– التشدد في تطبيق أحكام الدين:

من بين الأشياء الجلية في ظِّل حكم الدولة المرابطية، هو حرص ولاة الأمور فيها على تطبيق أحكام الدين وتنفيذ تعاليمه بين أفراد المجتمع، والتشدد في إقامة الشعائر الدينية من صلاة وزكاة وصوم وغير ذلك من العبادات والفرائض، وكان ذلك استجابةً لطبيعة دعوة عبد الله بن ياسين ونظام الدولة القائم على دعوة دينية، فقد كان الطريق الذي التزمه ابن ياسين والأمراء المرابطين من بعده، هو متابعة تنفيذ أحكام الدين، وأخذ المتخلفين بالعقاب الذي قد يصل إلى حد القتل، وقد اتخذ ابن ياسين منهجاً متشدداً في قبول المنظمين إلى دعوته من أبناء القبائل المختلفة، إذ كان لابد من إسلام جديد للعضو المنظم[87].

وكي يتم هذا الإسلام الجديد لا بد بأن يتطهر من ذنوبه السابقة؛ وذلك بافتراض أنه ارتكبها، فيقام عليه حد الزِّنا وحد السرقة وحد شارب الخمر والافتراء، وإذا اعترف بأنه قتل أحداً فإنه يُقتل[88]، فإذا ما طهر من ذنوبه أصبح صالحاً للانضمام للدعوة الجديدة، وعُلِّم قواعد الدين والإسلام الصحيح، ولا شك أن هذا المسلك فيه الكثير

([84]) البكري، المغرب، ص169–170. وابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص16–17.

([85]) حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص174–175.

([86]) ابن أبي زرع، الأنيس، ص81.

([87]) المصدر نفسه، ص80.

([88]) ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص16. والبكري، المغرب، ص169.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

من التعنت من ابن ياسين، يعتقد أنه لم يسبقه فيه أحد من الفقهاء، وربما كان يهدف من ورائه إلى سبر مدى صلاحية أتباعه في تحمل مشقات الدعوة، فإذا ما تحمل العضو الجديد التعذيب كان قادراً على تحمل أعباء الدعوة والجهاد في سبيل الله الذي هو ركن من أركان دعوة عبد الله بن ياسين[89].

وإذا حاولنا أن نتبين مدى اهتمام ابن ياسين بمختلف الشعائر والعبادات؛ لوجدنا أن إقامة الصلاة وتأديتها تحتل ركناً أساسياً في اهتمامه بكونها الركن الأول من أركان العبادة بعد الشهادتين، لذا كان ابن ياسين يلزم أتباعه بالمواظبة على الصلاة وتأديتها مع الجماعة، ومن تخلف عنها ضُرب عشرون سوطاً[90]، وربما كان ذلك لجهلهم بأركان الصلاة، أو لعدم حفظهم أي شيء من القرآن الكريم حتى تصح صلاتهم، ويبقون على اتصال دائم به؛ كي يتعلمون أمور دينهم وعبادتهم منه عن قرب، وقد أدى هذا الحرص والتشدد منه إلى أن الكثير منهم كان يدخل الصلاة من دون وضوء، وذلك إذا حان وقتها خشية العقوبة[91]، وكذلك فعل مع باقي الفرائض والعبادات ومنها الزكاة، حيث بيَّن لأتباعه مقاديرها وشروطها وفق ما حدده الشرع، وقضى على كل ما كان موجوداً من المغارم والضرائب والمكوس المخالفة لأحكام الدين[92].

وإلى جانب هذه الجهود التي بذلها ابن ياسين وأتباعه من الأمراء المرابطين في دفع الناس إلى الالتزام بأحكام الدين وتأدية فرائضه، فإنهم لم يدَّخروا أدنى جهداً في محاربة المنكرات التي تظهر بوادرها في المجتمع ، ومن ذلك محاربة الخمر وإقامة الحد على شاربها، وردع الزِّنا والسرقات، وإقامة الحدود في حق مرتكبيها، والقضاء على البدع والضلالات، والتصدي لأصحابها ومعاقبتهم، مثلما وقع مع بدعة برغواطة، وعليه عاش المجتمع في ظِّل الدولة المرابطية محافظاً على تأدية الفروض الدينية، وملتزماً بأحكام الشرع، ومن تهاون أو تكاسل في تأديتها فإنه يتلقى الرد المستحق من ولاة الأمور، الذين يعودون به إلى الطريق السليم والقويم[93].

2- الاعتماد على العلماء والفقهاء في إدارة شؤون الدولة:

كان مما ميز أوضاع الحكم في دولة المرابطين هو احتلال العلماء والفقهاء منزلةٍ رفيعة، وسيطرتهم على مجريات الأمور، ومرَّد ذلك هذه الدولة التي قامت على أساس ديني مستلهم من الدعوة الإصلاحية التي قادها عبد الله بن ياسين في صحراء المرابطين والقادة الأوائل للدولة الذين تربوا في رباطه، حيث درسوا أسس الدين الصحيحة ومبادئه القويمة، ومن هنا كان المبدأ الديني هو القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها الدولة في سياستها، ومن ثمّ فإن القائمين بشؤون الدين والمشتغلين بعلومه قد احتلوا مكانة مرموقة في المجتمع المرابطي، إضافة إلى ذلك فإن تكريم أمراء الدولة وتقديرهم قد زاد من مكانتهم ونفوذهم، فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان محباً للعلماء معظماً

([89]) حسن علي حسن، الحضارة، ص468-469.

([90]) البكري، المغرب، ص169. وابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص16.

([91]) البكري، المغرب، ص170. وابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص17.

([92]) ابن أبي زرع، الأنيس، ص81.

([93]) حسن علي حسن، الحضارة، ص472-473.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

لمكانتهم[94]، إذ يقول ابن أبي زرع موضحاً ذلك:[وكان أي يوسف ابن تاشفين محباً للعلماء والفقهاء الصلحاء، مقرباً لهم صادراً عن رأيهم متكرماً لهم][95].

ومن أمثلة ذلك، الدور الذي لعبه المرابطون في الاستيلاء على الأندلس، ففقهاؤها هم الذين كاتبوا الأمير يوسف بن تاشفين، ورغبوه في المجيء إلى الأندلس لتخليصها من ظلم ملوكهم الفاسدين، ولم يشرع الأمير يوسف في تنفيذ خطة القضاء على ملوك الطوائف حتى استفتى الفقهاء والعلماء في الأمر، وبعد إخضاعه للأندلس عسكرياً أخبره العلماء فيها بأن طاعته غير واجبة حتى يأتيه التأييد من الخليفة العباسي ببغداد، فعمل بنصيحتهم وبايع الخليفة العباسي أحمد المستظهر بالله (487هـ-512/1094-1112م)[96]، ودخل في طاعته وخدمة دولته، خاصة في صراعها مع أعدائها من الشيعة الفاطميين الذين أخذوا بعد نقل دولتهم من المغرب إلى مصر، يتطلعون نحو بلاد الشام والحجاز بعد، وبذلك يكون الأمير يوسف بن تاشفين ومن ورائه خلفائه من الأمراء المرابطين، قد تحاشوا لقب الخلافة لأنهم كانوا يرونه من اختصاص الخليفة العباسي، فأحجموا عن هذا اللَّقب واكتفى أمراؤهم بلقب أمير المسلمين[97].

ولم يكن التكريم والترحيب قاصراً على علماء المغرب فقط؛ بل رحب الأمير يوسف بكل العلماء وخاصةً علماء الأندلس الذين سارعوا إلى عاصمة المرابطين مراكش ليكونوا في ظَّل أمير المسلمين ورعايته. يقول صاحب المعجب:[فانقطع إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله؛ حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم][98]، وكذلك سار ابنه علي بن يوسف على نفس السياسة، فكان محباً للعلماء والفقهاء مكرماً لهم[99]. يقول المراكشي:« واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين»[100]. وكان يخرج بنفسه لزيارة العلماء وتكريمهم، ومن ذلك خروجه لزيارة - ابن بلارزج- أحد علماء المالكية، وكان عبداً صالحاً ومات بهسكورة سنة(540هـ/1145م)[101].

وفي عهد ابنه الأمير علي أصبح للفقهاء والعلماء تدخل في كل شؤون الدولة وفق قول المراكشي: [واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين، وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء][102]. وكان القضاة لا يصدرون

([94]) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص56. وابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص46.

([95]) ابن أبي زرع، الأنيس، ص88. وحسن علي حسن، الحضارة، ص336-337.

([96]) ابن الأثير، أبو الحسن علي الشيباني، ت(630هـ)، **الكامل في التاريخ**، مراجعة: محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج8، ص143.

([97]) يقول صاحب الحلل الموشية:« ولما ضخمت مملكة يوسف بن تاشفين واتسعت عمالته، اجتمعت إليه أشياع قبيلته، وأعيان دولته، وقالت له: أنت خليفة الله في أرضه، وحقك أكبر من أن تُدعى بالأمير؛ بل ندعوك بأمير المؤمنين، فقال لهم: حاشا لله أن نتسمى بهذا الاسم، إنما يتسمى به خلفاء بني العباس لكونهم من تلك السلالة الكريمة، ولأنهم ملوك الحرمين مكة والمدينة، وأنا راجلهم والقائم بدعوتهم، فقالوا له: لا بد من اسم تمتاز به، فأجاب إلى-أمير المسلمين وناصر الدين-، وخطب لهم بذلك في المنابر وخوطب به من العدوتين». ابن الخطيب، لسان الدين، الحلل الموشية، مصدر سابق، ص29.

([98]) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص162.

([99]) ابن الخطيب، الأعلام، ص131.

([100]) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص171.

([101]) ابن الزيات، أبي يعقوب التادلي، ت(789هـ)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح: أحمد التوفيق، ط1، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984م، ص152.

([102]) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص171.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

أحكامهم إلا بمشورة أربعة من الفقهاء[103]. ومن ثمَّ صارت لهم مكانة ونفوذ في المجتمع، والفقهاء هم الذين أشاروا على الأمير علي بن يوسف بحرق كتاب الإحياء للغزالي، وذلك حين أحسوا منه النيل من مكانتهم ومنزلتهم السياسية، كما اتخذ المرابطين الفقهاء للتهذيب بينهم، ويذكر ابن خلدون ذلك في قوله:[فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين لأحكام كتاب الله لصبيانهم والاستفتاء في فروض أعيانهم، واقتناء الأئمة للصلاة في بواديهم، وتدارس القرآن بين أحيائهم، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم][104].

وهكذا أصبح الفقهاء والعلماء طبقة مرهوبة الجانب، مسموعة الكلمة، وكانت منزلتهم وما وصلوا إليه من سيطرة على مقاليد الأمور عاملاً من عوامل التي دعت ابن تومرت لمهاجمتهم في دعوته، ورماهم بالجمود والتمسك الزائد بالفروع وتركهم الأصول[105].

3- شغف المرابطين بالعلم والتفقه في الدين:

باعتبار الطابع الديني الذي تميز به حكم دولة المرابطين، وسيطرة الفقهاء على دواليب الحكم ودوائر النفوذ فيها، فقد عكف الكثير من العلماء في عصر المرابطين على دراسة علوم الدين من فقه وحديث وتفسير، وعلى الزهد والتقشف والورع، وقد ذكر القاضي عياض منهم الشيخ لمتاد بن نصير اللمتوني[106]، الذي بلغ منزلةً كبيرة في علمه حتى أن المثل كان يضرب بفتواه في بلاد الصحراء وتعظيم أمرها[107]. ومنهم أيضاً أبو عبد الملك مروان اللمتوني[108]، وأحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري[109]، والفقيه أبو القاسم بن عذرا[110] وأخوه سليمان بن عذرا الجزولي، وكانا قد توليا أمور المرابطين الدينية بعد وفاة الشيخ عبد الله بن ياسين[111]. والفقيه أبو الحسن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي وابنه أحمد المعروف بإبن القصير[112].

وكان بعض الأمراء الذين لا تمكنهم الظروف من التعلم يرسلون في طلب أعلام الفقهاء والعلماء إلى قصورهم، فيجلسون إليهم ويأخذون العلم عنهم ويتفقهون في الدين على أيدهم، فكان الأمير إبراهيم بن يوسف ابن تاشفين

([103]) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص171.

([104]) ابن خلدون، العبر، ج6، ص208.

([105]) حسن علي حسن، الحضارة، ص ص338.336.

([106]) كان من عُباد المصامدة وفقهائهم، وهو الذي تولى قتل مسعود بن وانودين الزناتي عام(447هـ/1055م) صاحب سجلماسة عند بداية قيام دولة المرابطين، كان يضرب بفتواه في بلاد الصحراء وتعظيم أمرها. ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج8، ص80.

([107]) عياض، المصدر نفسه، ج8، ص80.

([108]) ابن فرحون، الديباج، ص423.

([109]) ابن الخطيب، لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م، ص194. وكذا : ابن فرحون، الديباج، مصدر سايق، ص106.

([110]) أبو القاسم بن عذرا الفقيه، أخو سليمان بن عذرا الجزولي، وكان من أصحاب أونان – وجاج– بن زلو اللمطي الفقيه، وأخو سليمان القائم بأمر المرابطين بعد عبد الله بن ياسين، وكانت وفاة سليمان سنة اثنين وخمسين وأربعمائة. ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج8، ص80.

([111]) التادلي، التشوف، ص257.

([112]) ابن فرحون، الديباج، ص110.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

يرسل في طلب الشيخ الفقيه الجليل علي الصدفي[113] ليسمع عليه الحديث وينتفع بعلمه وفضله، واتصل به الفتح بن خاقان[114] الكاتب المشهور، وباسمه طرز كتاب قلائد العقيان[115].

كما كان الأمير علي بن يوسف يرسل أبناءه إلى الأندلس؛ لتلقي العلم، ويتشدد في تعليمهم، ويظهر ذلك من الرسالة التي أرسلها إلى ابنه أبي بكر الذي كان يقوم على رعايته وتأديبه الطبيب الأندلسي المشهور أبو مروان بن زهر، وعلى ما يبدو أن الأمير أبا بكر لم يكن مكباً على الدرس، منصرفاً إلى التحصيل؛ مما دعا والده إلى تقريعه ونهره في الرسالة التي قال فيها:[كتابنا ألهمك الله رشد نفسك، ومن حضره مراكش بعد وصول الوزير الجليل أبي مروان بن الوزير أبي العلاء بن زهر، محل أبينا يشكو ما يكابده ويقاسيه من تضريبك، فأمسِك عليك رمقك، وخذ من الأمور ما يسر، وإلا أنفذناك إلى ميورقة][116].

4- انتعاش العلوم الدينية والمؤلفات فيها:

كان للروح الدينية التي سادت في الدولة المرابطية واهتمام أمرائها برجال الدين الأثر الكبير في ازدهار العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه، فقد أصبحت عاصمتهم مركزاً وقبلةً للعلماء وطلبة العلم، إذ وفد على العاصمة مراكش وغيرها من المدن بالمغرب الكثير من العلماء الأندلسيين الذين أسهموا في دفع حركة التأليف بالبلاد، وشاركهم فيها العلماء المغاربة الذين أقبلوا على الدراسة والبحث مما نتج عنه الكثير من المؤلفات الدينية.

4-1- في مجال التفسير: فقد زاد الإقبال على دراسة القرآن الكريم باعتباره مصدر التشريع الأول في الدولة إذ أقبل عليه العلماء بالدراسة والبحث[117]، ومن العلماء الذين برزوا في هذا المجال: أبو الحسن علي بن محمد الغرناطي المفسر نزيل مراكش الذي كان عالماً زاهداً يجتمع إليه الناس فيفسر لهم القرآن[118]، وعبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسي الذي له تفسير في القرآن، وعبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي المتوفي سنة(541هـ/1146م) الذي تولى قضاء مدينة المرية بالأندلس، وله كتاب تفسير القرآن المسمى (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)[119]، والذي لخَّص فيه التفاسير وتحرى الصحة فيها، وأبي بكر بن عربي، قاضي الجماعة بمدينة اشبيلية الذي درس في المشرق على يد أبي حامد الغزالي، وله عدة كتب منها الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، وأحكام القرآن [120].

([113]) هو الشيخ أبو إسحاق علي الصدفي، كان إماما مشهوراً في العلوم الدينية من حديث وفقه، ولي القضاء في عدة أماكن، وقد قصده الناس لأخذ العلم عنه حتى توفي سنة(514هـ). ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج8، ص193-194.

([114]) هو أبو النصر الفتح بن خاقان، صاحب كتابي"مطمح الأنفس، وقلائد العقيان" اتصل بملوك الطوائف، ولما جاءت الدولة المرابطية اتصل بأمرائها. وكانت وفاته بمراكش التي وجد فيها قتيلاً سنة(529هـ/1134م). أنظر: ابن خلكان، الوفيات، مصدر سابق، ج3، ص193.

([115]) محمود علي مكي، **وثائق تايخية جديدة عن عصر المرابطين**، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، مجلد7-8، سنة1958 و1960م، ص117-118.

([116]) حسين مؤنس، **سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس**، صحيفة المعهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني، سنة 1954م، ص20-21. وكذا: دندش، المرجع السابق، دور المرابطين، ص143-144.

([117]) علي حسن علي، المرجع السابق، الحضارة، ص473.

([118]) التادلي، التشوف، ص240.

([119]) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص655. وابن فرحون، الديباج، ص275-276.

([120]) ابن خلكان، الوفيات، ج4، ص296.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

4-2- علم الحديث: فقد نال هو الآخر عناية فائقة من ولاة الأمور في الدولة المرابطية ؛ كونه يعد المصدر الثاني الذي اعتمد عليه المرابطون في أحكامهم، وقد كان اهتمام علماء الدين والفقهاء بالحديث بتعريف رجاله وسنده وبيان أصوله أكثر من عنايتهم بالقرآن، ولعَّل السبب في ذلك راجع إلى نشأة دولتهم التي قامت على مبدأ أهل السنة، والاهتمام الكبير بعلم الفروع- فروع مذهب الإمام مالك- [121]، فقد كان موطأ الإمام مالك فيالدولة المرابطية يشكل محور الدراسات المتصلة بعلم الحديث[122].

ومن بين الذين اشتهروا في علم الحديث القاضي عياض السبتي الذي كان إمام وقته في الحديث وعلوم الدين، ومن مؤلفاته في الحديث: (إكمال المعلم شرح صحيح مسلم)، وله أيضاً كتاب (مشارق الأنوار في غريب الحديث والآثار)[123]، وابن القطان صاحب كتاب(شرح مقدمة صحيح مسلم وشرح الموطأ)[124]، وأبو الوليد يوسف بن عبد العزيز اللخمي المعروف بابن الدباغ الذي تولى قضاء مدينة دانية، وله عدة مؤلفات منها: (طبقات الفقهاء والمحديثين)، وكتاب(الغواص والمبهمات)[125]وغيرهم من الفقهاء المهتمين بالحديث جمعاً وشرحاً وتدويناً.

4-3- علم الفقه: فقد عرفت الحركة الفقهية في الدولة المرابطية نشاطاً كبيراً، وكانت تدور حول المذهب المالكي؛ على اعتبار أن داعية المرابطين عبد الله بن ياسين نفسه كان مالكي المذهب، وأن من جاء من بعده من الأمراء المرابطين كانوا يتخذون من مذهب الإمام مالك وأحكامه مصدراً لتشريعاتهم، ومن هنا كان الفقه المالكي هو مناط الدراسة والبحث، وأن معظم فقهاء هذا العصر قد راج كلامهم حول الفقه المالكي مع التشدد في الجوانب النظرية منه؛ غير معتنين بالتخريج العقلي للأحكام الفقهية، مكتفين بالأمور المتعلقة بالعبادات والمعاملات التي أولاها المرابطون أهميةً كبرى في تسير أمور رعيتهم، والتي جعلتهم يقربون علماء الدين لهم بغية تحقيق الرسالة التي حملها إياهم داعيتهم عبد الله بن ياسين[126].

وظهر منهم أعلام في الفقه منهم: الفقيه أبو الوليد ابن رشد قاضي الجماعة بقرطبة الذي له عدة مصنفات، أهمها كتاب: (البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل) [127]، والفقيه أبي بكر الطرطوشي أحد فقهاء الأندلس الذين خاصموا الغزالي، وأكثروا من الرد عليه، ونقدوا مذهبه في كتاب الإحياء، وله عدة كتب منها: (كتاب الفتن)، وكتاب (النهاية في الفروع المالكية)[128]، وإبراهيم بن جعفر اللواتي الفقيه المعروف بالفاسي[129]، والشيخ أبو طاهر ابراهيم بن عبد الصمد التنوخي الذي خط عدة مؤلفات أبرزها كتاب (الأنوار البديعة الى أسرار

([121]) الجيلالي سلطاني، **اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس**، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، كلية الأداب، قسم اللغة العربية وأدابها، دمشق، 1407هـ/1987م، ص52-53.

([122]) حسن علي حسن، الحضارة، ص484.

([123]) ابن خلكان، الوفيات، ج3، ص483. وابن فرحون، الديباج، ص270-272.

([124]) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت(578هـ)، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ج3، ص835-836.

([125]) ابن فرحون، الديباج، ص185. والزركلي، الأعلام، ج8، ص238.

([126]) حسن علي حسن، الحضارة، ص485.

([127]) ابن فرحون، الديباج، ص373-374. والزركلي، الأعلام، ج5، ص316.

([128]) ابن فرحون، الديباج، ص371.

([129]) ابن فرحون، المصدر نفسه، ص144-145. وكذلك: عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، طبعة دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1957م، (د.ط)، ج2، ص236.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

الشريعة)[130]. ومن أبرز المؤلفات الفقهية في هذا العصر (الأعلام بقواعد حدود الإسلام) للقاضي عياض، والتنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة له[131].

4-4- علم الكلام: فلم ينل عنايةً عند المرابطين باعتبار أن المرابطين كانوا يتخذون طريقة السلف الصالح مسلكاً ومنهجاً في حياتهم وتعلمهم، ومن ثمّ فإنهم لم يميلوا إلى الخوض في علم الكلام، ورموا من يخوض فيه بالكفر واعتبروه بدعة في الدين[132].

5- التعصب الكبير لمذهب الإمام مالك(τ):

بلغ التقيد بمذهب الإمام مالك واتّباع أقواله وأقوال المالكية عامةً مبلغًا في عهد المرابطين، حتى أفضى ذلك بهم إلى التعصب وتحريم أي مذهب غير المذهب المالكي، وتحول الأمر من مرحلة التنظير بين العلماء إلى مرحلة التطبيق، فنجد مثلاً أن الأمير علي بن يوسف لم يقرب منه سوى من كان عنده علم بفروع مذهب مالك، فازدهرت في عهده كتب المذهب ونبذ ما سواها، وأحرقت كتب أخرى أُعتبرت خروجاً عن المذهب المالكي المعتدل ككتب الغزالي، ونسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله[133]، ولربما كان كل ذلك بدافع حماية مكانتهم ومكتسباتهم، وسعياً في المحافظة على الوحدة والتماسك في دولتهم، وتدعيم مذهبهم الرسمي الذي اختاروه منهجاً لتسيير شؤون دولتهم ورعيتهم.

كما تعرض أهل الظاهر في عهده للاضطهاد لرفضهم الاعتماد على مذهب الإمام مالك، ودعوتهم للاجتهاد واستنباط الأحكام من القرآن والسنة. ومن هؤلاء نجد الفقيه محمد بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي الميورقي الأصل[134] الذي ضُرب بالسوط بأمر من الأمير علي بن يوسف بعد أن امتحنه، فسجنه زمناً ثم سرّحه، فعاد إلى الأندلس، وفي عهد ابنه تاشفين الذي تابع سياسة أبيه، نجده يرسل كتاباً إلى واليه في بلنسية أبي زكريا يحيى بن غانية وقاضيها وسائر الفقهاء والوزراء فيها، يدعوهم فيه إلى الاقتصار في الأحكام والفتوى والشورى على مذهب مالك بن أنسτ، ومن يعمل بغير ذلك فقد اتبع الهوى[135].

وقد كان لهذه السياسة الرسمية للدولة أثر على فقهاء المالكية الذين اتفقوا فيما بينهم في عهد المرابطين على أن اعتقاد الظاهرية وإنكار القياس وعده جنحة وبدعة[136].

وعليه يمكننا في الختام القول، بأن الأمراء المرابطين قد حرصوا أيما حرص على التمسك بتعاليم الدعوة الدينية المالكية ومبادئها التي بثها فيهم، داعيتهم الأول الفقيه عبدالله بن ياسين، بعد أن رأوا فيها حفاظاً على وحدة رعيتهم، وتماسك دولتهم، وقوة لملكهم وسلطانهم.

([130]) ابن فرحون، الديباج، ص142. وعمر رضا كحالة، المعجم، ج1، ص48.

([131]) أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض اليحصبي، ت(575هـ)، **التعريف بالقاضي عياض**، تح: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الدار البيضاء، المغرب، د(ط.ت)، 1982م، ص116. وابن فرحون، الديباج، ص272.

([132]) حسن علي حسن، الحضارة، ص486.

([133]) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص151.

([134]) محمد بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي الميورقي، كان فقيهاً ظاهرياً محدثاً عارفاً بالحديث وعلله وأسماء الرجال، توفى بعد محنته مع علي بن يوسف بن تاشفين سنة(537هـ/1142م) وهو في طريقه إلى المشرق. أنظر: ابن الخطيب، الإحاطة، مصدر سابق، ج3، ص191-192 .

([135]) مؤنس، سبع وثائق، ص20.

([136])- الونشريسي، المعيار، ج2، ص341.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

الخاتمة:

يخلص هذا البحث في نهايته إلى مجموعة من الاستنتاجات والملاحظات نوردها كما يأتي:

- إن الخصوصيات والميزات التى توفرت في المذهب المالكي هي التي دفعت زعماء الدولة المرابطية إلى الإقبال على المذهب، وجعلوه محور دعوتهم وأساسًا لبناء دولتهم؛ لما اشتملت عليه تعاليمه ومبادؤه من بساطة وسهولة، وبعدها عن التعقيدات والتأويلات التي كانت تحملها معتقدات الفرق والمذاهب الأخرى الموجودة آنذاك، من خوارج، وفرق كلامية، وجماعات شيعية وصوفية وغيرها، وهو ما جعله يعرف انتعاشًا قوياً، أعاد للمذهب مجده وقوته في المغرب الإسلامي على وجه التحديد.
- أما الأسس المذهبية التي قامت عليها دولة المرابطين؛ فإن جهود زعمائها تمحورت حول فكرة إعادة نشر مبادئ الدين الإسلامي السُنِّي الصحيح وإحيائه، وفق تعاليم المذهب المالكي، وتحقيق فكرة التوحيد المذهبي المالكي لبلاد المغرب والأندلس؛ حتى تمكن المذهب في عهدهم من السيطرة على سائر المذاهب في المغرب والأندلس، ومحاربة البدع والضلالات؛ للحفاظ على وحدة الأمة ومذهبها المالكي الرسمي، ومنها التزام أحكام الشرع في الفروض الدينية كالصلاة والزكاة والصيام كذلك.
- من آثار الالتزام بالمذهب المالكي في الدولة المرابطية، هو قيام الأمراء بتقريب الفقهاء المالكية وتعينهم في المناصب العليا في الدولة، وبخاصة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، الذي قام بإحاطة نفسه بالفقهاء المالكية، ووضعهم على رأس الجهاز الإداري والقضائي، حيث شغلوا مناصب الشورى إلى جانب أمير المسلمين في مراكش وفي نيابة الأندلس وقواعدها الكبرى.
- إن سعي الأمراء المرابطين للحفاظ على التوحيد المذهبي المالكي في بلاد المغرب الإسلامي، يبينه إقدام السلطة المرابطية بإشارة الفقهاء المالكية، على إحراق المؤلفات التي عدّوها كتب بدع وضلال، ككتب الإمام أبو حامد الغزالي، وأهمها كتاب إحياء علوم الدين؛ كون الآراء الفقهية للكتاب تخالف السياسة الفقهية للدولة، وميولات الفقهاء المالكية وأسلوب تفكيرهم من جهة أخرى.
- لقد حافظ الأمراء المرابطين المتعاقبين على دورهم في نشر الإسلام، وتدعيم وجوده في المناطق التي بلغتها دعوتهم وخضعت لسلطانهم، وفق تعاليم المذهب السُنِّي المالكي التي رسمها داعيتهم الأول ابن ياسين، من خلال توسعاتهم في بلاد المغرب وجهادهم بالأندلس، إلى أن ظهرت الدعوة الدينية للموحدين بزعامة عبد الله ابن تومرت، والتي كانت سبباً في زوال دولة المرابطين ووراثتها في المغرب والأندلس.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً– المصادر:

©جميع الحقوق محفوظة، عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، ت(658هـ)، **معجم أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000م.
- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم، ت(630هـ)، **الكامل في التاريخ**، مراجعة: محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر الفاسي، ت(726هـ)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تصحيح يوحنا تورنبرغ، طبعة أوبسالية، عام1917م.
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد الأسفراييني التميمي، ت(429هـ)، **الفرق بين الفرق**، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، (د. ت).
- البكري، أبي عبيد، ت(487هـ)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د(ط.ت).
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت(578هـ)، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، و دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.
- ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد الأندلسي الظاهري، ت(465)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق: محمد، إبراهيم نصر وآخرون، دار الجيل، بيروت، د(ط.ت).
- ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد، ت(808هـ)، تاريخ **ابن خلدون المعروف بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد، **المقدمة**، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 2007م.
- ابن خاقان، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الاشبيلي، ت(529هـ)، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، تحقيق: حسين يوسف خربوش، ط1، مكتبة المنار، عمان، 1989م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد، ت(776هـ)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م.
- ابن الخطيب، لسان الدين، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تصحيح: البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، (د.ت).
- ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، القسم الثالث**، تحقيق: أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م، (د.ط).
- ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت(681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت، 1984م.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

- الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، ت(463هـ)، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ت(748)، **العبر في خبر من غبر**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م.
- ابن الزيات، أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي، ت(617هـ)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق: أحمد التوفيق، ط1، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد، ت(548هـ)، **الملل والنحل**، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، 1968م، (د.ط).
- عياض بن موسى السبتي، ت(544هـ)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1983م.
- أبو عبد الله محمد ابن القاضي عياض اليحصبي، ت(575هـ)، **التعريف بالقاضي عياض**، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الدار البيضاء، المغرب، 1982م، د(ط.ت).
- ابن عماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح العكري الدمشقي(1089/1032هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقبق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1410هـ/ 1989م.
- ابن عذاري، المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد، كان حيا سنة(712هـ)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
- 21- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد، ت(403هـ)، **تاريخ علماء الأندلس**، اعتنى بنشره وتصحيحه وطبعه: السيد عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ/1988م.
- 22- ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين المالكي، ت(799هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
- المراكشي، أبي محمد محي الدين عبد الواحد بن علي، ت(647هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**
- (د.ط)، مطبعة بريل، ليدن، 1881م.
- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، ت(1471هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس،(د.ط)، دار صادر، بيروت، 1988م،
- الونشريسي، عبد الواحد، أبو العباس أحمد بن يحي، ت(914هـ)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق: محمد حجي وآخرون، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1981م.

ثانياً: المصادر والمراجع:

أ- العربية:

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

- حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين: صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، القاهرة، د(ط.ت).
- حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس –عصر المرابطين والموحدين**، ط1 ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.
- حسين مؤنس، **نصوص سياسية عن فترة الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000م.
- حماه اللهولد السالم، **حركة المرابطين بين العصبية والدعوة**، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015 م، (د.ط).
- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.
- صالح أحمد الشامي، **الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة**، ط2، دار القلم، دمشق، 2002م.
- عبد العزيز السيد، **المغرب الكبير**، القاهرة، 1966، (د.ط).
- عصمت، عبد الطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
- عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961م.
- عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1993م.
- عمر الجيدي، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، المغرب، 1987م، (د.ط).
- عباس الجراري، **وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1976م، (د.ط).
- القادري، بوتشيش ابراهيم، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين: المجتمع، الذهنيات، الأولياء**، ط1 ، دار الطليعة، بيروت، 1993م.
- عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، طبعة دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1957م، (د.ط)،
- محمد بن حسن شرحبيلي، **تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي**، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 2000م، (د.ط).
- الهنتاتي، نجم الدين، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي الى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004م، (د.ط).

ب– الأجنبية:

- julien charles (a), **histoire de la frique de nord**, paris ,1931

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

الرسائل الجامعية:

- الجيلالي سلطاني، **اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس**، ماجستير، جامعة دمشق، كلية الأداب، قسم اللغة العربية وأدابها، دمشق(1407هـ/1987م).

ثالثاً- المجلات:

أ- العربية:

- حسين مؤنس، **سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس**، صحيفة المعهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني، سنة 1954م.
- حماه الله ولد السالم، **الأصول الفكرية لدولة المرابطين وآثارها الصحراوية**، مجلة علوم انسانية، العدد40، 2006م، مجلة الكترونية. WWW.ULUM . NL
- محمود علي مكي، **وثائق تايخية جديدة عن عصر المرابطين**، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد7-8، سنة1958و1960م.

ب - الأجنبية:

- Bourouiba , Rachid , **la doctrine almoravide**, revue de l'occident musulman et de la médetirrranée, nº 13-14 , 1er semestre 1973 , france.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021